الأهرام

المصدر : الوسط

التاريخ : ١٠ ابريل ٢٠٠٠

ربع قرن على الرصاصة الأولى... فماذا تغيَّر؟

انقلابات وانتفاضات وحروب داخلية غيرت وجه لبنان

هل هي ٢٥ عاماً انقضت على الرصاصة الاولى في أطول الحروب اللبنانية التي بدأت في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٥ وانتهت في ١٣ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٩٠ لتكشف التغيير الكبير الذي أصاب هذا البلد الصغير في كل شيء تقريباً، أم أن المناسبة حلقة في سلسلة لم تنته بعد وإن توقفت الحرب؟

نحو ثلثي تاريخه الحديث أمضاه لبنان بلا قرار مستقل: مرة تحت وطأة الوصاية، ومرة تحت وطأة الاحتلال، ومرة - وربما مراراً - تحت وطأة عدم مقدرته على قيادة نفسه وتوجيه إرادته وقراره المستقل. أما بلغة الارقام فتاريخ لبنان الحديث هو الآتي: منذ اعلان الجمهورية اللبنانية، «الجمهورية الاولى» ووضع اول دستور للبلاد (١٩٢٦) وحتى نيله الاستقلال الوطني (١٩٤٣)، أقام لبنان ١٧ عاماً في ظل حكم الانتداب الفرنسي. ومنذ ١٩٤٣ وحتى اليوم، عبر لبنان في ٥٧ عاماً جمهوريتين اثنتين، الاولى هي «الجمهورية الثانية» (١٩٤٣ - ١٩٨٩) والثانية هي «الجمهورية الثالثة» مع تعديل الدستور عملاً بإصلاحات الطائف ووضعه موضع التنفيذ (١٩٩٠)... في السنين الـ٥٧ هذه ٢٥ عاماً منها في ظل وجود عسكري وسياسي سوري و٢٢ عاماً في ظل احتلال اسرائيلي لقسم من جنوبه. وهذا يعني ان ٤٢ عاماً من ٧٤ عاماً هي تاريخ لبنان الحديث تكشف ان نحو ثلثي عمره السياسي والدستوري اقام في ظل سيادة الآخرين على ارضه، وفي ظل قرارهم عليه. بل في الواقع وقع نحو نصف تاريخ لبنان المستقل ايضاً في دائرة سيادة الآخرين وقرارهم منذ «الجمهورية الثانية» والى ما بعد اعلان «الجمهورية الثالثة» ولا يزال.

بعد ٢٥ عاماً على الرصاصة الاولى في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٧٥، ماذا تبقى من لبنان القديم؟ وبماذا جاء لبنان الجديد اذا كان لا بد من الاعتقاد بأن حرب ١٩٧٥ - ١٩٩٠ كانت حداً قاطعاً بين ما قبل ١٩٧٥ وما بعد ١٩٩٠ الى اليوم؟

بل لعلّ الارقام الآتية عن حقبة الحرب اللبنانية في وسعها ان تُنبئ بأي تغيير كبير حصل وأي قوى وطوائف ومذاهب وَلد على جثثها هذا التغيير: ١٣٣١٤٠ قتيلاً و٢٠٧١٥١ جريحاً و١٧٤١٥ مفقوداً و١٣٩٦٨ مخطوفاً و١٣٤٥٥ معاقاً ما بين ١٩٧٦ و١٩٩١. ولا يدخل في عداد هذه الارقام القتلى الفلسطينيون الذين سقطوا في مخيماتهم في اثناء الاشتباكات بين التنظيمات والفصائل الفلسطينية، ولا الغارات الاسرائيلية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

على المخيمات الفلسطينية التي قضت على نحو ٢٠٠ فلسطيني. ولا يدخل في هذا الحساب ايضاً مقتل ٨٥٧ فلسطينياً وجرح ١١٢٤ آخرين في اقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا (١٩٨٢) على اثر اجتياح الجيش الاسرائيلي بيروت، ولا سقوط ٩٢٦٧ قتيلاً و٦٧٨٧ جريحاً في حروب مخيمات برج البراجنة وصبرا وشاتيلا والجنوب بين التنظيمات الفلسطينية وحركة «أمل». ولا يدخل في هذا الحساب تفجير ٣٦٤١ سيارة أودى بحياة ٤٣٨٦ وجرح ٦٧٨٤، فضلاً عن حروب الميليشيات المسيحية وانتفاضات بعضها على البعض الآخر او تصفية جيوبها («القوات اللبنانية» وأحزاب «الجبهة اللبنانية») بمقتل ٣٣٢٨ مواطناً، وحرب الجيش اللبناني و«القوات اللبنانية» بمقتل ٦٤٨ مواطناً (١٩٩٠)، وحروب الميليشيات الاسلامية والعقائدية بعضها مع البعض الآخر (حركة «أمل» و«حزب الله» والحزب الشيوعي اللبناني والحزب التقدمي الاشتراكي و«المرابطون» والحزب السوري القومي الاجتماعي) التي حصدت اعداداً غير محددة من القتلى والجرحى. من غير اغفال مئات اللبنانيين في المعتقلات في «الحزام الامني» المحتل وداخل اسرائيل. وكذلك من غير احتساب مئات القتلى في الشهور الاولى من بدء الحرب (١٩٧٥) بتصفيات جسدية فورية سببها الانتماء المذهبي والطائفي والعقائدي. ولا احتساب اعداد اللبنانيين الذين هاجروا من بلدهم في سني الحرب بنسبة ٢٠ في المئة من سكانه ليبلغ الرقم بين ١٩٧٥ و١٩٩٥ أكثر من مليون مهاجر. اما اللبنانيون النازحون من بيوتهم وبلداتهم داخل وطنهم لأسباب تتصل بالمعارك العسكرية والتهديدات والابعاد والاختلاف المذهبي والطائفي، فبلغوا نحو ٧٠ ألف عائلة بمعدل وسطي هو ٣٥٠ ألف مهجر بين ١٩٧٥ و١٩٩٠، رجع منهم نصفهم تقريباً بعد ١٩٩١ بفعل تطبيق خطط العودة والمصالحات واعادة بناء المنازل المهدمة وتنمية القرى.

لكن الذكرى ٢٥ على الرصاصة الاولى في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٧٥ ليست هذه الارقام فقط. ولا هي ارقام فقط. بل ايضاً بسبب تلك الحرب ونتائجها التي لم تكن على صورة اندلاعها ولا على صورة افرقائها الاولين، اوجدت لبنان آخر هو غير لبنان القديم الذي عرفه اللبنانيون في الاربعينات والخمسينات (في ذروة ازدهاره) والنصف الاول من الستينات عشية الحرب العربية – الاسرائيلية في ١٩٦٧. انتهت الحرب في لبنان على نحو لا يمت بصلة ابداً الى دوافع انفجارها، ولم تكن دوافع هذا الانفجار وشراسته

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حرب المخيمات الفلسطينية سقط فيها أكثر من ٩ الاف قتيل.

لتوصل الى خاتمته في ظل الثمن الباهظ الذي دفعه لبنان بتهاوي عملته الوطنية وانهيار اقتصاده وتدمير بناه التحتية وتشقق مؤسساته الدستورية وتصدّع وحدته الوطنية وانشقاق طوائفه ومذاهبه بعضها على البعض الآخر. طويت صفحة الحرب فجأة بقرار عربي ودولي، وبوثيقة كانت محور تفاهم اكثر من فريق كان معنياً بالحرب اللبنانية الطويلة، شأن السوريين والاميركيين والاوروبيين والفاتيكان، ثم في آخر هذه السلسلة اللبنانيون: اتفاق الطائف الذي تضمن اصلاحات سياسية ودستورية في نظام الحكم وأعاد بناء العلاقات اللبنانية - السورية سبيلاً الى انهاء حرب طويلة كانت بدأت بحرب شوارع بين الفصائل الفلسطينية وميليشيا حزب الكتائب بعد ظهر الأحد ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٧٥ في عين الرمانة، بإطلاق نار على بوسطة كانت تقل فلسطينيين في طريقها الى مخيماتهم مروراً بذلك الحي المسيحي.

منذ ذلك النهار شاع في البلاد انفجار حرب لبنانية - فلسطينية استمرت حتى ١٩٨٢ مع خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت ومخيمات ضواحيها الى تونس، لتنفجر من ثم حرب ثانية بين اللبنانيين على تطوير نظام الحكم ووضع اصلاحات دستورية وسياسية، كما على الموقف من وجود الجيش السوري في لبنان وفي خضم احتلال اسرائيلي بدأ للجنوب في ١٩٨٧ ثم توسع في ١٩٨٢ ليشمل نحو نصف البلاد ويدق ابواب العاصمة بيروت، ثم يحتلها بعد اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل.

على ان حرب اللبنانيين ضد اللبنانيين كانت في الوقت نفسه حرباً على موقع لبنان في خضم الصراع العربي - الاسرائيلي. ولذا عارضت سورية وجيشها بشراسة ابرام لبنان اتفاق سلام مع اسرائيل، وساهمت مع حلفائها اللبنانيين بزعامة وليد جنبلاط ونبيه بري في تقويض السلطة المركزية لعهد الرئيس أمين الجميل مما أدى إلى انشطار المناطق عن بعضها البعض. وقيل يومها في «حرب الجبل» (١٩٨٣) انها حرب اللبنانيين المؤيدين لـ«الخيار السوري» في مواجهة اللبنانيين المؤيدين لـ«الخيار الاسرائيلي» الذي لم يكن يعني اكثر من محاولة متعثرة لأمين الجميل لإخراج البلاد من دائرة الصراع العربي - الاسرائيلي، بتحقيق سلام مستقل مع اسرائيل. لكن ذلك كان يعني ايضاً بالنسبة الى السوريين (الذين اخرج الاسرائيليون جيشهم النظامي من بيروت والمرتفعات المتاخمة لها حتى طريق بيروت - دمشق) تطويقهم بثانية الدول العربية التي تبرم سلاماً مع اسرائيل. فخاض اللبنانيون حلفاء سورية معركة عودة جيشها الى بيروت (١٩٨٧) بعد معركة تفكيك الجيش اللبناني وانتزاع بيروت وجبل لبنان الجنوبي من سيطرة حكم أمين الجميل الذي لم يرَ مفراً من التسليم، حفاظاً على استمراره في رئاسة الجمهورية، بـ«الخيار السوري» فينقسم المسيحيون من حوله وعليه.

حتى اجتياح ١٩٧٨ وسيطرة اسرائيل على شريط امني داخل الاراضي اللبنانية بغية ابعاد هجمات المسلحين الفلسطينيين عن مستوطناتها، لم يكن العامل الاسرائيلي قد دخل فعلياً في صلب معادلة الصراع الداخلي في البلاد الذي ظل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

القوات السورية في بيروت.

لثلاث سنوات (١٩٧٥ – ١٩٧٨) أسير الحرب اللبنانية – الفلسطينية، يختلف اللبنانيون بازائه بين فريقين: كمال جنبلاط (وبعد اغتياله وليد جنبلاط) يقود مع الاحزاب العقائدية واليسارية معركة حماية الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان كجزء من هدف مقاومة اسرائيل لاستعادة الاراضي المحتلة، وكميل شمعون وبيار الجميل (بالتزامن مع صعود بشير الجميل) يقودان معركة تجريد الفلسطينيين من اسلحتهم وتقويض دولتهم التي نجحوا في بنائها منذ ١٩٧٣ من ضمن الدولة اللبنانية.

في تلك الاثناء كان قد دخل العامل السوري في مهمة وساطة بين الطرفين اللبنانيين اللذين اضفيا ايضا على حربهما ملامح اللبننة: كمال جنبلاط ومن بعده نجله وحلفاؤهما بالمناداة باصلاح جذري للنظام السياسي والدستوري في البلاد وإن بالوسيلة العسكرية، والاحزاب المسيحية بتشبثها بالنظام القائم مع انفتاح محدود على فكرة الاصلاح كرد فعل على تهديد المسيحيين في وجودهم السياسي. بدا الفلسطينيون حلفاء كمال جنبلاط، والسوريون بعد دخول جيشهم النظامي الى عمق الاراضي اللبنانية (١٩٧٦) حلفاء الميليشيات المسيحية بغية اعادة التوازن السياسي والعسكري بين هذين الفريقين وتجنيب احدهما الانتصار على الآخر، والتمكن من السيطرة على الورقة الفلسطينية في النزاع العربي – الاسرائيلي الذي لم يجد السوريون آنذاك سبباً لعزله عما يدور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

داخل لبنان. وهي وجهة النظر التي ستؤكد بعد اكثر من عقدين، خصوصاً اعتباراً من النصف الثاني من التسعينات، صحة الموقف السوري في حاجته الى لبنان في حماة النزاع مع اسرائيل وفرص بلوغ تسوية للصراع العربي - الاسرائيلي عبر بوابة لبنان اولاً.

بيد ان لعبة المواقع هذه سرعان ما انقلبت الى نقيضها الحاد في الشهور الاخيرة من ١٩٧٧ فالسوريون اضحوا حلفاء القوى الاسلامية والاحزاب العقائدية بقيادة وليد جنبلاط والمنظمات الفلسطينية (خصوصاً بعد زيارة الرئيس أنور السادات لإسرائيل)، والاحزاب المسيحية المنخرطة في «الجبهة اللبنانية» أرست علاقات تعاون عسكري مع اسرائيل توجه اجتياح الدولة العبرية لبنان في ١٩٨٢ والذي سرعان ما ساهم في انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية ومن بعده شقيقه أمين الجميل، بمثل ما ساهم من قبل الجيش السوري (في عزّ تحالف دمشق مع «الجبهة اللبنانية») في انتخاب الياس سركيس رئيساً للجمهورية (١٩٧٦)، ثم بعد سنوات في انتخاب رينه معوض ومن بعده الياس الهراوي رئيساً للجمهورية (١٩٨٩).

ولذا لم تكن الحرب اللبنانية مرة، بلاعبيها اللبنانيين خصوصاً، الا أسيرة التوازن السياسي والعسكري الاقليمي بين سورية واسرائيل. خرج الفلسطينيون من المعادلة وانخرط فيها اللبنانيون منقسمين مجدداً بين حلفاء لسورية ومعارضين لها. في ١٩٨٩ انتهت فجأة الحرب اللبنانية باتفاق وقعه البرلمانيون اللبنانيون في مدينة الطائف السعودية برعاية عربية وتسليم أميركي وأوروبي ورضى فاتيكاني. انتهت الحرب فجأة بوثيقة اصلاحات سياسية لم يلبث ان كرّسها بعد نحو سنة تعديل الدستور. في هذه الغضون فُوّض الى السوريين الاشراف على اعادة الاستقرار الى البلاد وبناء حكومة مركزية بدءاً بتصفية الجيب الذي كان لا يزال يشغله اعتصام العماد ميشال عون، رئيس الحكومة العسكرية الانتقالية، في القصر الرئاسي رافضاً الانضمام الى تسوية الطائف والاعتراف بالشرعية الدستورية المنبثقة منه (بانتخاب رينه معوض ثم الياس الهراوي رئيساً، وبحكومة سليم الحص). فأطاحه هجوم عسكري نفذه الجيشان السوري واللبناني بعدما كان البرلمانيون اللبنانيون انجزوا قبل اقل من شهر (١٩٩٠) تعديل الدستور.

كان ذلك ايذاناً بالانتقال بالبلاد الى «الجمهورية الثالثة» وطي صفحة الحرب في لبنان نهائياً. اذ ذاك قيل ان ثمة اتفاق طائف آخر يصنعه السوريون في لبنان من خلال شرعية دستورية تدين لهم بالولاء، ابرز وجوهها الياس الهراوي الذي رشحته دمشق لرئاسة الجمهورية، فأطلق يدها في قرار اطاحة ميشال عون. الا انه كان في المقابل القرار الوحيد الذي سيتيح له الامساك بالسلطة والحكم رئيساً فعلياً يسيطر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

انفجار السيارات المفخخة أكثر ما أرعب اللبنانيين.

خاض بيار الجميل معركة تجريد الفلسطينيين من السلاح.

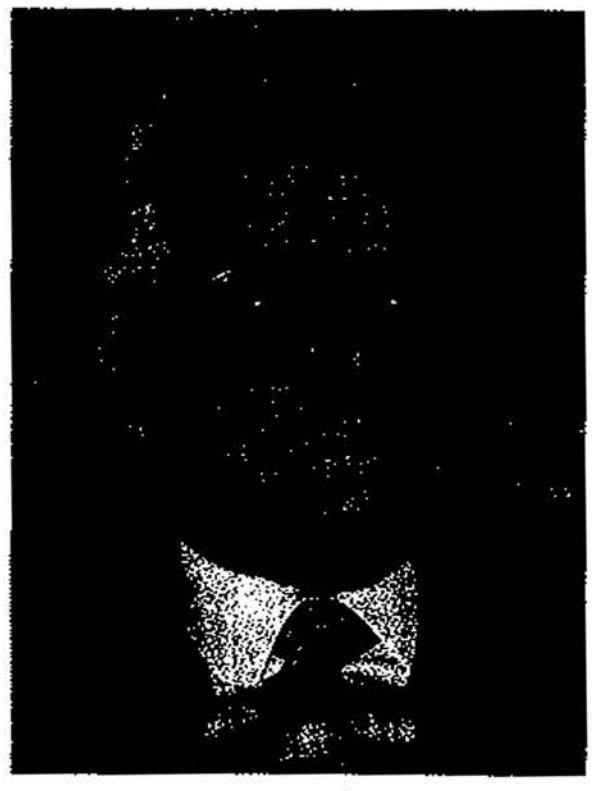

كميل شمعون تحالفه مع دمشق لم يعمر.

على الاراضي اللبنانية الواقعة تحت سيطرة الجيش اللبناني والجيش السوري، ويعيد بناء المؤسسات الدستورية والوطنية، ثم يمهد بعد نحو سنتين (١٩٩٢) لإجراء اول انتخابات نيابية عامة في البلاد بعد انقطاع ٢٠ عاماً.

لكن أي لبنان جديد انبثق؟

لم يكن في الامكان معرفة اي لبنان جديد انبثق من الحرب الا في ظل السلام الداخلي وشروط تحقيقه والقوى القادرة على فرضه، وإن بدا لكثيرين ان الحرب انتهت من غير ان يكون قد بدأ السلم الاهلي. ومغزاه بناء نظام حكم سياسي يلاقي هدف الاصلاحات الدستورية بتحقيق مشاركة فعلية لكل القوى التمثيلية الرئيسية في الانضمام الى المؤسسات الدستورية، وفي اتخاذ القرارات الوطنية. وهو ايضاً مغزى نشوء طبقة سياسية موالية بكليتها للدور السوري في لبنان، ولاستمرار وجود الجيش السوري على الاراضي اللبنانية ما دام ثمة احتلال اسرائيلي للجنوب وفي انتظار تسوية شاملة وعادلة. هي الطبقة السياسية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

التي نشأت من انتخابات ١٩٩٢ وسيطرت بغالبيتها على الحكومات الست المتعاقبة في عهد الياس الهراوي، وأوصلت الى رئاسة مجلس النواب اقوى حلفاء سورية في لبنان نبيه بري، وحافظت على الموقع المميز لوليد جنبلاط في الحكم. ثم أعادت انتخابات ١٩٩٦ لتؤكد تكريس استمرار هذه الطبقة.

على ان الحاجة الى كل هذا الانقلاب السياسي كانت تقتضي اولاً وأساساً ارساء علاقات لبنانية – سورية متينة ودائمة استناداً الى القانون لا النيات والهوى السياسي فحسب. او على الاقل استعادة الحد الادنى من تجربة «الاتفاق الثلاثي» (١٩٨٥) الذي أشرف على انجازه السوريون بدعم قواه الثلاث آنذاك (نبيه بري ووليد جنبلاط والياس حبيقة قبل ان يسقطه أمين الجميل وميشال عون وسمير جعجع) في تنظيم العلاقات اللبنانية – السورية. من ذلك المعاهدة اللبنانية – السورية ثم الاتفاق الامني بين البلدين (١٩٩١). وقد يكون عدد القمم التي عقدها الرئيسان اللبناني والسوري على امتداد الولاية

كمال جنبلاط: قيادة معركة الاصلاحات.

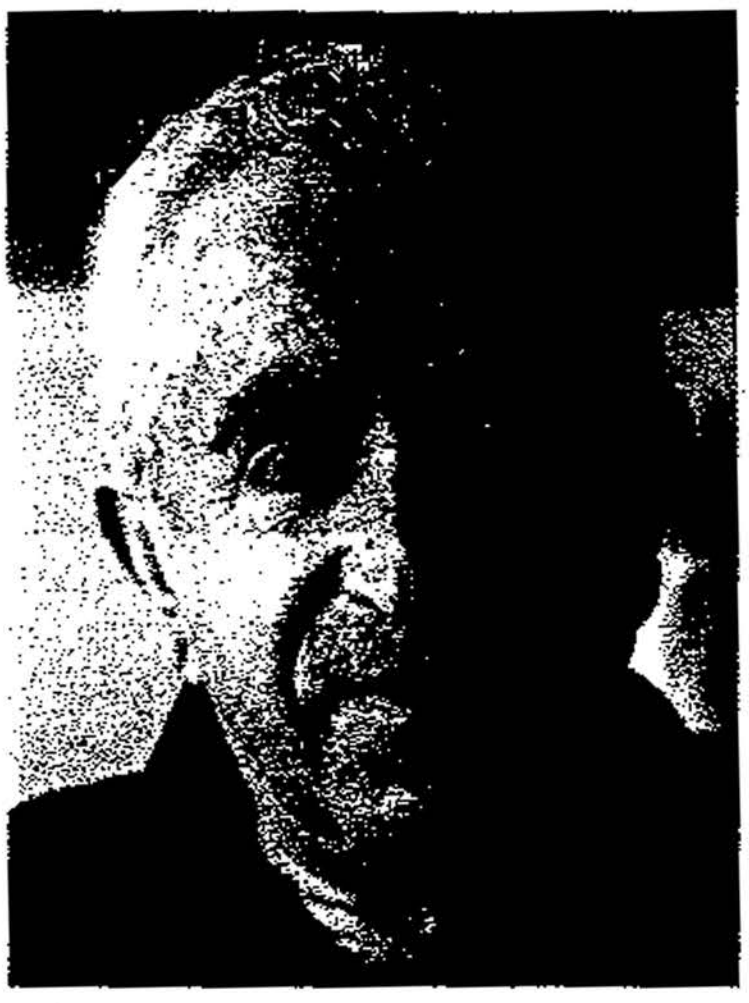

رشيد كرامي: التوازن التقليدي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الطويلة لالياس الهراوي خير معبّر عن موقع هذه العلاقات المميزة في سلم استمرار الاستقرار الداخلي والبناء التدريجي للمؤسسات الدستورية والوطنية ومؤازرة حلفاء دمشق في السلطة. في عهد الياس سركيس عُقدت تسع قمم لبنانية سورية، وفي عهد أمين الجميل عُقدت ١١ قمة، وفي عهد الياس الهراوي عُقدت ٦١ قمة.

ولعل في الرقم الاخير ما يشير الى اهمية الدور السوري في العهد السابق في تعاطيه وأدق تفاصيل الحياة الوطنية الداخلية، غالباً ما لجأ المسؤولون اللبنانيون آنذاك الى وساطة دمشق في تسوية الخلافات بينهم، او اجراء مصالحات شخصية. اذ عنى كذلك انعقاد ٦١ قمة لبنانية – سورية على امتداد تسع سنوات في عهد الياس الهراوي معدّلاً وسطياً هو ست قمم رئاسية في السنة الواحدة، ومعدّلاً وسطياً مماثلاً هو قمة لبنانية – سورية كل شهرين. بل الابرز انعقاد تسع قمم في سنة واحدة (١٩٩٠)، هي سنة التحولات الكبيرة في ذلك العهد الذي لم يبدأ فعلياً في ممارسة الحكم الا في شهورها الاخيرة مع التصويت على التعديلات الدستورية في مجلس النواب واخراج ميشال عون بالقوة من قصر بعبدا.

بيد ان ذلك كله يطرح النتيجة الاكثر وقعاً في ثمن انهاء الحرب اللبنانية ووقف الاقتتال الداخلي، هي «الازمة الدستورية» المستمرة منذ عقد تماماً، ومنذ تعديل الدستور خصوصاً. اذ افضى اتفاق الطائف الى اعادة بناء المؤسسات الدستورية طبقاً لمعادلة سياسية اكثر منها دستورية، هي توزيع السلطات والصلاحيات على الطوائف الثلاث الاساسية مناصفة: الموارنة والسنّة والشيعة، بتجريد رئيس الجمهورية من جزء مهم من اختصاصاته الدستورية، وإناطتها بمجلس الوزراء برئاسة رئيس مجلس الوزراء الذي لم يعد رئيس الجمهورية بل رئيس الحكومة، وتعزيز موقع رئيس مجلس النواب (ومن خلاله مجلس النواب ما دام قابضاً على سلطة القرار فيه) عبر تمديد مدة ولايته. بذلك اتاحت التعديلات الدستورية توفير افضل فرص التصادم والاختلاف بين المؤسسات الدستورية خصوصاً بإيجاد مؤسسة مجلس الوزراء كمصدر القرار في السلطة الاجرائية يشارك فيه الجميع. ولهذا غالباً ما تدخّل السوريون في السنوات التالية من حقبة الطائف لمصالحة المسؤولين المختلفين على السلطات والصلاحيات وبذلك ايضاً وأيضاً أضحت دمشق مرجعية «الازمة الدستورية» هذه التي لا يزال يُشكى منها الى اليوم. على الاقل بشهادة الخلافات الاخيرة قبل اسبوعين في مجلس النواب (جلسة الاستجوابات) على تفسير الدستور، ومن قبلها بأيام السجال على صلاحيات نائب رئيس الحكومة ما قاد لتوّه الى اطلاق اتهامات مذهبية.

وليست «الازمة الدستورية» وحدها الثمن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الباهظ لتسوية سياسية في حرب أهلية لم تنته حكماً بحل سياسي، ولم يكن في الامكان فرض تطبيق الحل السياسي الا بالخيار العسكري. وهو ما حصل بإقصاء ميشال عون بالقوة، فأشعر المسيحيين - بالتزامن مع انتخاب رئيس للجمهورية هو الياس الهراوي لم يختاروه - انهم خسروا حرباً طويلة كانوا رأس حربة في خوضها، ولم تنته بالخصم نفسه الذي بدأت معه. كانت الخسارة مزدوجة: عسكرية (وقد ساهم فيها اقتتال المسيحيين في حرب ميشال عون وسمير جعجع التي قوّضت كلياً قوتهم وآلتهم العسكرية)، وسياسية في التسليم بتنازلات التخلي عن جزء من صلاحيات رئيس الجمهورية في مقابل استعادة قسم من السيادة على الارض. وهو ما عنته الوعود التي تلقاها البرلمانيون المسيحيون في اجتماعات الطائف بمطالبتهم بالتساهل حيال انتقال بعض صلاحيات رئيس الجمهورية الى مؤسسة مجلس الوزراء لقاء اعادة انتشار القوات السورية في البلاد الى اطراف البقاع في مهلة سنتين بعد المصادقة على التعديلات الدستورية.

على ان الثمن السياسي في الدستور اضحى مجانياً. ولم يعد في الامكان بعد انقضاء السنتين (١٩٩٢) مطالبة السوريين بمغادرة قسم من البلاد. اذ كان بدأ مؤتمر مدريد للسلام اعماله سبيلاً الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط، فنشأ تبعاً لذلك التلازم بين المسارين اللبناني والسوري في مفاوضات التسوية السلمية.

في هذه الاثناء لم تعد اسرائيل في صلب المعادلة الوطنية بين اللبنانيين، ولا عاملاً مؤثراً في تخريب الدور السوري في لبنان على غرار ما كانت عليه في النصف الثاني من السبعينات وحتى النصف الاول من الثمانينات. لكنها اضحت قادرة اكثر على التعرض للمدنيين اللبنانيين في لعبة عض الاصابع في المفاوضات مع سورية، لعبة عض الاصابع المتبادلة. سورية عبر المقاومة، واسرائيل بتصعيد اعتداءاتها.

كل ذلك بعد انقضاء الحرب اللبنانية التي نجح اتفاق الطائف ورعاية سورية وحدها لتطبيقه في اخراج العامل الاسرائيلي من صلب المعادلة الوطنية وتعزيز مواقع القوى الحليفة لسورية، فضلاً عن التأثير الكبير لدمشق في معظم القرارات الداخلية، الكبيرة والصغيرة، وارساء توازن سياسي جديد اشعر المسيحيين، خصوصاً بعد انتخابات ١٩٩٢، انهم خسروا فعلاً حربهم تلك، فيما حصد اللبنانيون الشيعة افضل مكاسبها، وخرج من الحرب رابحان كبيران في السلطة هما نبيه بري ووليد جنبلاط وان في ظل حكم رئيس قوي للجمهورية هو الياس الهراوي يحظى بثقة نظيره السوري. في هذا الوقت كان المسيحيون، لا سيما منهم الموارنة، فقدوا كميل شمعون وبيار الجميل، ونأى ريمون إده بنفسه عن لبنان فيما يمنع أمين الجميل وميشال عون من العودة الى البلاد، فلم يبق غير بطريرك الموارنة في بكركي الذي يعلن مواقف جريئة، فيما تطمئن دمشق الى موالاة جميع المؤسسات لها.

توقفت الحرب بين اللبنانيين، من غير ان يخرج لبنان من أسر موقعه بين دولتين إقليميتين قويتين، ليس في وسعه حيالهما الا الانحياز الى سورية، إلا أنه يدفع الثمن.

حرب ١٩٧٥ - ١٩٩٠ التي بدأت بالعامل الفلسطيني وباتت اليوم رهينة التسوية السلمية الشاملة، قدمت باتفاق الطائف للبنانيين اخيراً سلماً داخلياً لا قتلى فيه ولا اغتيالات ولا متاريس ولا حروب شوارع الا أنه مقيم على فوهة بركان ذلك الاتفاق ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

محطات في ١٥ سنة حرب

في ١٥ عاماً من سني الحرب اللبنانية (١٩٧٥ – ١٩٩٠):

– تناوب على السلطة خمسة رؤساء للجمهورية اثنان اغتيلا هما بشير الجميل (١٩٨٢) قبل ان يتسلم سلطاته الدستورية بتسعة ايام، ورينه معوض (١٩٨٩) الذي أقسم اليمين من غير أن يحكم. فيما تعاقب بعد انتهاء ولاية سليمان فرنجية (المنتخب ١٩٧٠) كل من الياس سركيس (١٩٧٦ – ١٩٨٢)، أمين الجميل (١٩٨٢ – ١٩٨٨)، الياس الهراوي (١٩٨٩ – ١٩٩٨).

– تناوب على رئاسة مجلس النواب بعد اقصاء كامل الأسعد بقرار سوري لمجاراته اتفاق ١٧ أيار (مايو) ١٩٨٣ كل من حسين الحسيني (١٩٨٥ – ١٩٩٢)، ونبيه بري (١٩٩٢ – ...). ولم يتح انتخاب برلمان جديد للبلاد الا بعد انتهاء الحرب، في ١٩٩٢ للمرة الاولى منذ ٢٠ عاماً، في اثنائها استمر البرلمان المنتخب في ١٩٧٢ في تمديد ولايته قانوناً بعد آخر لتبلغ ثمانية قوانين تمديد ما بين ١٩٧٦ و١٩٨٩.

– تعاقب على رئاسة الحكومة اربع رؤساء: سليم الحص (١٩٧٦ و١٩٧٩) وشفيق الوزان (١٩٨٠) في عهد الياس سركيس، وشفيق الوزان (١٩٨٢) ورشيد كرامي (١٩٨٤) في عهد أمين الجميل، وميشال عون على رأس حكومة عسكرية انتقالية في مرحلة الفراغ الدستوري بخلو منصب رئاسة الجمهورية بعد انتهاء ولاية أمين الجميل من دون التمكن من انتخاب خلفه (١٩٨٨ – ١٩٨٩)، وسليم الحص (١٩٨٩) في عهد الياس الهراوي.

على ان رئيسا للحكومة هو رشيد كرامي اغتيل في اثناء وجوده في السلطة (١٩٨٧) بتفجير طوافة عسكرية كانت تقله في خضم الصراع السياسي والعسكري في البلاد.

– نكبت الطوائف برموز كبار اغتيلوا: مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد (١٩٨٩)، الزعيم الدرزي كمال جنبلاط (١٩٧٧)، النائب طوني فرنجية (١٩٧٨)، رئيس حزب الوطنيين الاحرار داني شمعون (١٩٩٠)، النائب السابق معروف سعد (١٩٧٥). واختفى الزعيم الشيعي الإمام موسى الصدر أثناء زيارته لليبيا (١٩٧٨) ولا يزال مصيره مجهولاً الى اليوم. كذلك فضل ريمون إده النفي الاختياري في باريس (١٩٧٦)، وأرغم أمين الجميل على مغادرة البلاد بعد ايام على انتهاء ولايته الدستورية (١٩٨٨)، فيما أبعد ميشال عون عن لبنان (١٩٩١) بقانون لا مثيل له بعد نحو سنة من لجوئه الى السفارة الفرنسية على أثر إطاحته بهجوم عسكري نفذه ضده الجيشان السوري واللبناني (١٩٩٠) ولا يزال مقيماً في باريس على رغم انتهاء المدة القانونية للإبعاد وهي خمس سنوات.

وبعد سنوات قليلة على طي الحرب دخل سمير جعجع، أحد أبرز رموز الحرب وقائد ميليشيا «القوات اللبنانية»، السجن (١٩٩٤) بتهم ارتكاب جرائم اغتيال رشيد كرامي وداني شمعون ومحاولة اغتيال ميشال المر، وهو السياسي الوحيد، وزيراً سابقاً في حكومتين رفض الانضمام اليهما، الذي يلاحق وتصدر في حقه أحكام قضائية ويُسجن من دون سائر نظرائه في ميليشيات أخرى بلغوا مراتب السلطة. ولا يسقط في هذا الحساب ايضا اغتيال السفير الأميركي فرنسيس ميلوي (١٩٧٦) والسفير الفرنسي لوي دولامار (١٩٨١) ومقتل السفير الإسباني بدرو مانويل دو أرستيغي (١٩٨٩) إبان عمليات عسكرية وقذائف استقرت في مبنى السفارة، وسقوط نائبين هما لويس أبو شرف (١٩٨٩) بقذيفة على شرفة منزله وناظم القادري (١٩٨٩) اغتيالاً.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية